

تغيرات مست العلاقة بين الجنسين، الزواج والنسق الأسري في الجزائر

Transformations in Gender Relationship, Marriage, and Family Structure in Algeria

Mutations des relations entre les sexes, le Mariage et la structure familiale en Algérie

د. كلفاح أمال*

أستاذة محاضرة "ب"

جامعة محمد بن أحمد (وهران 2)

Dr. KELFAH Amel*

Maitre de conférence « B »

Université d'Oran 2

amel_kel@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2019/07/14 تاريخ القبول: 2019/09/25 تاريخ النشر: 2019/11/07

- الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تبيان التغيرات التي طرأت على العلاقة بين الجنسين في الجزائر، وعلى الزواج وتوازنات الأسرة وذلك بين نسقين ثقافيين؛ قديم وحديث، من خلال التركيز على جملة من الدراسات المغاربية، العربية والأجنبية حول الثقافة المحلية بداية بطرح تساؤل حول أهم التحولات والفروقات التي مست القواعد التي تحكم العلاقات بين الرجال والنساء، وكيفية تغير طقوس ومعنى الزواج، والتركيبية الأسرية وتوازنات الجماعة الابتدائية الجزائرية بين الماضي والحاضر؟

انطلقنا من فكرة أن التحولات الثقافية، والتغيرات التي تطرأ على المجتمعات، حتمية طبيعية في مسارها الذي لا يمكن أن يكون إلا ديناميكيا. فالجزائر شأنها شأن كل المجتمعات، مرت بعدت مراحل وتحولات ثقافية عديدة، وعليه قمنا في هذا العمل باستعراض هذه التغيرات، اعتمادا على المنهج التاريخي برؤية تحليلية مقارنة لجملة التغيرات التي حدثت بين الماضي والحاضر اعتمادا على ما جاء في الموروث النظري لمجموعة من المؤلفين البارزين في الحقل الثقافي والاجتماعي ومنه توصلنا إلى مجموعة من النتائج كانت أهمها:

- المجتمع الجزائري قد خضع إلى تحولات مست العلاقة بين الجنسين (الذكور والإناث).
- المجتمع الجزائري قد خضع لتحولات مست الزواج من حيث الطقوس الاحتفالية، من حيث الطبيعة، والتصورات الاجتماعية

* المؤلف المرسل: د. كلفاح أمال الايميل: amel_kel@hotmail.fr

- المجتمع الجزائري قد خضع لتحويلات مست البنية الاسرية وتوازنها من حيث الأدوار والمكانات.

إن كل العناصر التي كانت محل طرح في هذه الدراسة تخضع إلى التغير والتحول المستمر، ولذلك لا بد أن تكون هناك استمرارية في البحوث الاجتماعية والنفسية لمواكبة مختلف السيرورات الثقافية والاجتماعية.

- الكلمات المفتاحية: تغيرات - تحولات ثقافية - الزواج - الأسرة - العلاقة بين الجنسين- النسق الثقافي

- **Abstract:** This study sets up to investigate the changes that have taken place concerning the relationship between men and women in Algeria, marriage and in the balance of the family regarding two cultural models; the old and the modern one, by focusing on a number of Maghreb, Arab and foreign studies on local culture.

Beginning with a question about the most important transformation and differences in the rules governing relations between men and women, how to change the rituals and meaning of marriage, the family structure and the Algerian primary group balance in the past and in the present?

We started with the idea that cultural transformations in societies are natural determinism in their path, which can only be dynamic. Algeria, like all societies, has undergone many stages and cultural changes.

In this study we have displayed these changes using a comparative analytical approach based on the heritage studies of well-known authors in the cultural and social field. Accordingly, we reached a set of important results that are;

- Algerian society has undergone gender relationship changes (male and female).
- Algerian society has undergone transformation of marriage in terms of ceremonial rituals, nature and social representations.
- Algerian society has been subjected to changes in the family structure and its balance in terms of roles and status.

All elements that were subjected to analysis in this study faced enduring transformations, therefore, a continuation of social and psychological research line is recommended in this field to cope with the different processes of social and cultural change.

- **Keywords:** changes- cultural change- cultural model- family structure- gender relationship -marriage.

- **Résumé:** La présente étude a pour but d'examiner l'évolution des relations entre les deux sexes, le devenir des rites du mariage et ces représentations dans la société, l'équilibre et la stabilité de la structure familiale en tenant compte du comportement évolutif dans le temps.

Il est évident que les transformations au sein de la société sont inévitables de ce fait nos questionnement en porté sur les mutations dans la relation du couple, dans le mariage et dans la famille algérienne.

A la lumière des travaux d'éminents auteurs dans le domaine culturel et social, et se basant sur l'héritage théorique, nous avons tenté une approche analytique de ces changements. En utilisent la méthode historique. Nous avons abouti aux résultats suivants :

- La société algérienne a subit des mutations au niveau des relations entre les hommes et les femmes.
- La société algérienne a subi des mutations au niveau du mariage en termes de rituels cérémoniels, de nature et de représentations sociales
- La société algérienne a subi des mutations au niveau de la structure familiale et de son équilibre en termes des statuts et des rôles.

Tous les éléments présentés dans cette étude ont subi des changements continuels. Par conséquent, la recherche dans le champ psychosocial doit suivre le rythme des divers processus culturel et social.

- **Mots clés :** changements - mariage - modèle culturel- mutations culturelles- relations de genre - structure familiale.

- مقدمة:

إن الاحتكاكات بين الثقافات التي تتعرض لها مجتمعات العالم كلها والحاجة الملحة إلى التغيير لمواكبة التطور وركب موجة الحضارة، قد يتسبب في تشكيل معالم ثقافية جديدة وتغيرات كثيرة تصب في البناء الثقافي والاجتماعي للمجتمعات.

التغير الثقافي هو سيرورة طبيعية وحقيقة وجودية، يدل على حدوث عملية من التطور والتحول في كل أو بعض العناصر الثقافية في المجتمع، كاللغة أو العلم أو الدين أو أي نظام من النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع (بن نعمان، د-ت، 224).

المجتمع الجزائري وباعتباره واحد من هذه المجتمعات، تحول ولا يزال في حالة تغير مستمر لذلك ركزنا في هذا العمل عن أسلوب حياة الجزائريين وعن الثقافة الجزائرية في تطوراتها وتغييراتها. معتمدين على المنهج التاريخي، حيث حاولنا الإلمام بأهم التغيرات التي مست العائلة الجزائرية باعتبارها الجماعة الابتدائية وبالتالي نموذج مصغر عن المجتمع وثقافته، وكيفية تأثيرها على الأدوار والمكانات والعلاقات بين أفرادها والنظم التي تتأسس عليها هذه العلاقات كالزواج.

1- اشكالية الدراسة:

صعب جدا التحدث عن الثقافة الجزائرية، فكل من يخوض في هذا الموضوع يجد نفسه أمام تحديات عديدة، لعل أهم هذه التحديات المساحة الشاسعة وطبيعة السكان، فامتدادها على طول الساحل وتوغلها في الصحراء جعل الاختلاف هو ما يميز مناطقها وسكانها في طريقة العيش وكذا في العادات واللغات والثقافة، أما التحدي الثاني الذي يواجه الباحث في هذا المجال هو التغير والتحول السريع اللامتناهي للثقافة الذي فرضه الاحتكاك مع ثقافات مجاورة وغير مجاورة.

وعلى اعتبار أن المجتمع هو مجتمع فتي، حيث تمثل فئة الشباب الاغلبية فيه وهي الاكثر انفتاحا على تطورات العالم، ظهر فارق كبير وسريع على الاساسات السوسيوثقافية والنفسية بين ما كانت وما صارت عليه، مخلفا وراءه نسقين ثقافيين متباينين؛ تقليدي وحديث. ولعل أهم التغيرات مست ولا تزال تمس الأسرة الجزائرية باعتبارها والجماعة الأولى في المجتمع بحيث حدث نوع من الاختلال في المكانات والأدوار وطبيعة العلاقات والمسافات بين الجنسين.

لذلك سوف نحاول قدر المستطاع اظهار هذه الاختلافات اعتمادا على المنهج التاريخي للإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هي أهم التحولات التي مست الحدود التي تنظم العلاقات بين الجنسين؟

- ماهي التغيرات الطارئة على طقوس وطبيعة الزواج؟
- ماهي التغيرات التي حدثت على مستوى التركيبة الاسرية وتوازنها (الأدوار والمكانات بين الأزواج)؟

هناك العديد من المهتمين بالثقافة في ثوبها المحلي أو المغاربي أو حتى المتوسطي ناقشوا قضايا تحولات الأسرة والزواج والعلاقات بين الجنسين كالهواري عدي Lahouari Addi، طوالب نور الدين Toualbi، بوحدية Bouhdiba، بن سلامة Benslama، المرنيسي Mernissi، كميلوري Camilleri، كامي لاکوست دوجاردان Camille lacost-dujardin، دومينيك فرننديز Fernandez، جاك بارك Jacques Berque وغيرهم، حاولنا تبويب دراساتهم في نسقين قديم وحديث.

2- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان:

- جملة التحولات التي مست الحدود التي تنظم العلاقات بين الجنسين
- التغيرات الطارئة على طقوس وطبيعة الزواج
- التغيرات التي حدثت على مستوى التركيبة الاسرية وتوازنها (الأدوار والمكانات بين الأزواج)

3- أهمية الدراسة:

هذه الدراسة هي تجميع لما جاء لما جاء في الموروث النظري للمهتمين بالثقافة الجزائرية وترتيبها وفق نسقين أو فترتين من التطور الثقافي للمجتمع وذلك برؤية تحليلية لمعرفة التحولات والتغيرات الثقافية التي مست بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية لاسيما تلك التي لها علاقة بطقوس وطرق تكوين الأسرة الجزائرية تراكيها، تنظيماتها الداخلية والعلاقات بين أفرادها.

4- تغيرات مست العلاقة بين الجنسين، الزواج والنسق الأسري:

1.4- النسق القديم:

1.1.4- الزواج التقليدي:

يعتبر الزواج الوسيلة الأكثر تميزا، للحفاظ ولترسيخ القيم التي يتمسك بها المجتمع الابتدائي، ومن أهمها تزويد هذه الجماعة بالأطفال خاصة الذكور الذين يمثلون في السياق التقليدي كنزا ثميننا يحمل الاسم ويحافظ عليه من الاندثار. وكثرة عددهم يؤثر تأثيرا مباشرا على

مكانة الأب، ويبرء زوجته من العقم تلك البراءة التي تحمي الزوجين من عدة مشاكل تجاه نفسيهما وتجاه المجتمع.

وعليه فإن الزواج ليس فرحة فردية أو تقتصر على الزوجين فقط، وإنما هي مجرد محاكاة لفرحة العائلة كلها التي خططت لهذه الزيجة، فالقبول ورضي الطرفين عن الارتباط ببعضهما ليس مطلوباً، وفي نفس الصدد يتحدث كاميلوري Camilleri في وصفه للمجتمع التونسي التقليدي الذي كأن يشبه إلى حد كبير المجتمع الجزائري آنذاك حتى في تطبيقهما لفقه المذهب المالكي أن الاغلبية الغالبة منهم يعملون بمذهب الإمام مالك ابن أنس، والذي يعتمد في مسألة الزواج على موافقة الأب (الولي)، إذن فالأب لديه السلطة المطلقة في تقرير مصير ابنته البكر (العزباء) في مسألة الزواج بحكم عدم خبرتها، فالأب هو من يعرف ما هو خير للعائلة، مع أن المعنية بالأمر شرعاً يمكنها الاعتراض قبل طقس الحناء لكنه احتمال ضئيل ونظري محض خاصة وأنه يحتاج إلى شجاعة لتحمل عقوبات الجماعة الأولية والمجتمع ككل (Camilleri,1973,p.13).

أما بالنسبة للذكر كطرف ثان، فهو من يتلفظ بالقبول أمام الغمام أو رجل الدين وولي الفتاة، لكن بعد اجتماع يكون قد تقرر فيه كل شيء من قبل، سواء بقبول اقتراحه من طرف العائلة أو الموافقة على اقتراحاتهم.

هذا المنطق في النسق التقليدي، يجعل التعارف السابق للزواج بين الطرفين من دون جدوى وحتى مضراً وبمنتهى الخطورة. فالعائلة التقليدية تمنع هذا التعارف المتبادل بحجة الشرف واقامة حدود متينة بين الجنسين.

2.1.4- النسق التقليدي والحدود بين الجنسين:

من خلال محاولة اطلاعي على مسألة الفصل بين الذكور والإناث في النموذج القديم (العائلة التقليدية)، تذكرت مقطعا مهما لعبد الوهاب بوحديبة Abdelwahab Bouhdiba في كتابه المعروف بـ "الجنس في الإسلام" حيث بين أن التكامل والانسجام والمحافظة على النسل والحياة، وكذا السعادة والتخفيف من التوترات وإشباع الرغبات لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار شرعي وهو النكاح.

فهو عالم مبني على التفريق بين الجنسين، على اعتبار عامل السن، فمند البلوغ يبدأ هذا الفصل ففي البداية يمارس من خلال الزي المخصص لكل منهما، الشكل الذكوري والأنثوي (اللحية مثلا) ثم النوم في أماكن منفصلة حتى بين الإخوة، هذه الأهمية التي يبديها هذا النموذج في مسألة الحدود بين الجنسين لم تأتي من العدم، بل تترجم قلنا حقيقيا لبناء حدود محددة وصارمة قدر المستطاع، حتى بين المخنثين les hermaphrodites وكلا الجنسين إذ أنه عليهم إلا

يقربوا أو يصلوا أو يتجردوا من ملابسهم أمام الرجال ولا أمام النساء حتى يتم التعرف على جنسهم الحقيقي بعد سيرورة النمو أو يبقوا على هذا الحال إلى الأبد (Bouhdiba,2010)، وهذه الجزئية بالذات تبين إلى أي حد هي مهمة وصعبة هذه الحدود بين الجنسين، التي لا يتم اختراقها إلا تحت إطار الزواج أو النكاح كما يشار إليه عند علماء الفقه. لقد كان الأب والأخ أو حتى ابن العم مسؤولا عن هذه التفرقة وعن شرف النساء التي هن تحت مسؤوليته، وهذا ما يبرر جرائم الشرف.

3.1.4- العلاقة بين الجنسين في النسق التقليدي والحياة الجنسية:

في محاولة لوصف العلاقة بين الجنسين في البحر الأبيض المتوسط وبالخصوص النسق المغربي القديم وعمدت كامى لاکوست دوجاردان Camille Lacoste-Dujardin إلى سرد عدة تناقضات لمسها في العلاقات بين الرجال والنساء، فمتناقضة هي تصرفات الرجال أمام النساء من وجهة نظره، فهي مليئة بالكره والسخرية، القمع والإطراء، التقديس والولع لكن مع الحذر الدائم منهن.

متناقض أيضا هو القلق الدائم حول الجنس والفصل الصارم بين الجنسين، متناقض أيضا الاهتمام الشديد بالموصول بالجنس عند الذكور والتضيق أمام الجنس عند الإناث. متناقضة أيضا الإفراط في العفة والصمت حول العلاقة الجنسية بين الزوجين أمام الإعلان الجماعي حول ليلة الدخلة في الأعراس، متناقضة أيضا التأكيد على العنف كقيمة رجولية، تأمين غير قابل للجدل لأسبقية وتفوق الرجال على النساء مع الرجوع إلى حضن الأم، استقلالية رجولية معلنة، ولكن تبعية للام دائمة البقاء على قيد الحياة" (Dujardin,1996).

وجهة النظر هذه اتفقت إلى حد كبير مع ما جاء به أنثربولوجيون ومختصون محليون أو بالأصح مغاربة، بحيث تحدث بوحديبة مطولا عن الحدود بين الجنسين وتنظيم العلاقة الجنسية في حدود واضحة وهي النكاح، أما فاطمة المرنيسي Mernissi Fatima فهي تفصل مسألة الجنسية La sexualité في الإسلام وفي المجتمع المغربي في كتابها "الجنس، الايديولوجيا، الاسلام" الذي نشر في الدار البيضاء سنة 1985 حيث قدمت في البداية رؤية تاريخية حول الجنسية والمؤسسة الزوجية التي لم تنظم وترسى قواعدها إلا بظهور الإسلام. كما بينت كيف أن الرغبة التي تجذب نوعين مختلفين تشريحيًا (الذكر والأنثى) ولكن متكاملين. هذا التكامل يمثل الإرادة الإلهية من وراء الزواج وذلك بتحقيق الرغبات الجسدية وإدامة الوجود الإنساني على الأرض. كما وصفت كيف أن الرغبة الجنسية المحرمة تصبح وسيلة لتقريب الإنسان من الجنة وإكمال الواجب الديني عندما ترتبط بالزواج.

بعد ذلك تقف المرئسي على مسألة هل الجنسانية النسائية فعالة ونشطة أو active أو سلبية وغير فعالة passive مستعينة بمقارنة قام بها جورج موردوك Georges Murdock حول تنظيم الغرائز الجنسية في كل من المجتمعات الغربية والمجتمعات التقليدية المسلمة. فبالنسبة لهذا الأخير المجتمعات الغربية هناك تدخل قوي للموانع الجنسية من خلال سيرورة التنشئة الاجتماعية خلال مراحل الطفولة للحفاظ على القواعد التي تحكم الجنس. أما في المجتمعات الإسلامية التقليدية هناك حدود واحتياطات خارجية كقواعد السلوكية التي تميز وتفصل بين الجنسين لتجنب الوقوع في الخطأ واحترام قواعد التي تحكم الجنس (Mernissi,1985,p.7).

يبدو واضحا هنا أن المجتمع الإسلامي التقليدي يحجب الفتاة بشدة "الحرمة"، وبهذا المعنى يجب أن نفهم أنه في هذا النمط الاجتماعي يعتمد الكل على حفظ وصيانة شرف وعفة الفتيات قبل الزواج بحدود ليست معنوية وأخلاقية فقط بل أيضا مادية أو فزيائية، بقدر ما تضعه هذه المجتمعات من حدود بين الجنسين كاللباس الساتر لجسم المرأة، والحراسة المشددة عليها، والمرافقة الدائمة لها لضمان هذه العفة والعذرية.

العذرية تعرف على أنها الكتز الأثمن للفتاة، لا سيما حماية شرف العائلة كلها. تدقق على هذه الفكرة لاكوست دوجاردان في قولها "الفتاة الشابة تشعر بوزن كل أثقال الشرف عليها. كل تصرفاتها يجب أن تترجم الاحتشام المفرط والمعيق (الحشومة hachouma)، الحياء والصفاء يدرج في صف الفضيلة التي تتحول إلى هوس (Dujardin,1996,p.85).

الخوف من جنسانية المرأة في هذه المجتمعات تجعل منها كائنا جنسيا سلبيا حتى بعد الزواج، بسبب الموانع المغروسة فيها منذ الطفولة، هنا يمكن أن نستذكر نظرية فرويد Freud حول الجنسانية السلبية للمرأة la sexualité passive de la femme فبنسبة لهذا الأخير "العدوان عند المرأة موجه نحو الداخل في اتفاق مع السلبية في الجنسانية" مطابقتا مع القوانين والقيم الاجتماعية الطاغية وعليه فعلى المرأة تدخل نزواتها الجنسية.

فسر فرويد غياب الجنسانية فعالة أو إيجابية عند المرأة بكونها مازوشية وسلبية، أما في نظر الإسلام وعلى لسان أبو حامد الغزالي الجنسانية عند المرأة تعتبر إيجابية وليست سلبية كما يرى فرويد Freud بما أن لها سحرا وفتنة على الرجل. أن الفتنة التي للمرأة تجعلها تمثل خطرا وفوضى اجتماعية، لكنها قادرة على التحكم في ميولها الجنسية، لذلك فحجها هو حماية للرجل وليس منه، والفصل بين الجنسين وسيلة لحماية الرجل وليس المرأة.

4.1.4- العذرية كقيمة تبادلية في سوق الزواج:

ترى العديد من الشعوب، أهمية عذرية الفتاة قبل الزواج، ففقدانها ينعكس سلبا على شرف الفتاة نفسها وكل عائلتها.

ونظرا لأهمية هذه المسألة لذا الكثير من الشعوب كانت أول محاولة للتحليل النفسي للنظر إليها سنة 1918، حيث نشر Freud أول مقال حول الموضوع بعنوان تابوا العذرية (Freud,1918).

وردت بعد هذه المحاولة أبحاث أخرى حول الموضوع، نذكر منها دراسات ملفتة للانتباه، وتتلاءم مع البيئة الثقافية الخاصة بالمغرب العربي، قام بها باحثون مغاربة ك: شبال Chebel، بوحديبة وبن سلامة Ben slama قدم شبال العذرية من خلال اقترانها ببعض المعاني كهيمنة الرجل في المجتمع الأبوي وحب امتلاكه للمرأة بحيث يكون أول من حصل عليها. أما بن سلامة فنشر نظرية بهذا الخصوص أطلق عليها اسم هو أم العذرية الأبدية منطلقا من مشهد مأخوذ من كتاب ألف ليلة وليلة في كتابه التحليل النفسي بتجربة الإسلام. ومن جهته بوحديبة عمد إلى تحليل الفكر الإسلامي في مسألة حور الجنة، واللاتي كلما وطأهن المسلم يتحولن عذراوات من جديد (Kelfah,2010). في المجتمعات ذات سلسلة الأنساب الأبوية، الطريقة الوحيدة لضمان الأبوة للنسل القادم هي المراقبة الجادة للخصوبة الأنثوية وذلك بالمنع التام للعلاقات الجنسية خارج إطار الزواج.

وعليه كلما حافظت الفتاة على عفتها كلما كان لها الحق في زواج مشرف في إطار مجتمعها، ومن هنا نفهم مصير الفتاة التي تتعرض لخسارة هذه العذرية بحيث يتلخ شرف كل العائلة. ولذلك ففي المجتمع التقليدي المغربي هناك عبء ثقيل وضغط يومي على الفتاة والجنس لا يخففه ولا يحرر هذه الأخيرة غير الزواج.

وقد نفهم من هنا أن الجنس في النسق التقليدي يقترن بالإنجاب والحفاظ على النسل وهذا ما يجعل ممارسته يخيم عليها نوع من الطقوس الميكانيكية الهادفة لواجب الإنجاب وليس للمتعة الخالصة. أما في الحاضر ومع انتشار وسائل منع الحمل وتحديد عدد ووقت الولادات المرغوبة، هناك جنسانية هادفة إلى التناسل وأخرى هدفها المتعة وإشباع النزوات الجنسية.

5.1.4- النسق التقليدي وتعدد الزوجات: La polygamie

إن الزواج في إطار النسق القديم وكما ذكرنا ليس من أولوياته السعادة الزوجية والحب بقدر ما يُنتظر من هذه العلاقة من تعداد في الأولاد الذين يحملون اسم الجماعة الأبوية، ولذلك فهو لا يبالي بالزواج الأحادي أو الزوجة الواحدة.

تحرك الرغبة في الحصول على أكثر عدد من الأولاد خاصة الذكور الحاجة إلى تعدد الزوجات، وذلك في حدود الإمكانيات المادية المتاحة، مهما كانت شدة رفض الزوجة الأولى إلا أنها خطوة متاحة للرجل يحلها الشرع. الزوجة بالمقابل لا يمكنها طلب الطلاق إلا في حالات محددة يشرعها الدين.

"في العائلة الأبوية تفعل الوحدة والاستقرار، حول الزعيم. أما العنصر النسوي فهو ثانوي ومهمته إعطاء نسل للعائلة، تحسب لصالح للزعيم" (Camilleri, 1972,p.14).

كما يرى إبراهيم الحديري أن العائلة الأبوية تحتاج إلى تكثير النسل لخدمة الأرض بأيدي عاملة ذكورية كثيرة، وعليه فالحل في الزواج المبكر خاصة من داخل العائلة (ابن العم وابنة العم) وكذلك تعدد الزوجات التي تفرضها وحدة العمل في الأرض. وهكذا بقيت العائلة العربية الممتدة حتى وقت قصير تشكل وحدة اجتماعية إنتاجية بفعل استمرار الظروف والشروط البيئية لتطورها (الحديري ابراهيم، 2003).

6.1.4- زواج الاقارب ولد العم وبنت العم:

في إطار النسق العائلي التقليدي، عندما تنحدر أصول الزوجة من عائلة أخرى غير عائلة الزوج، تحافظ على هويتها الأبوية وتبقى دائما (بنت فلان)، أما الأطفال الذين هم ثمرة زواجها فينتمون إلى عائلة الأب (الزوج)، فلا علاقة لهم بعائلتها ولا بها.

الأولاد الذين جاءوا للعالم من رحم هذه الأم هم من ممتلكات العائلة الأبوية، وعليه في حالة الطلاق أو الانفصال، الأم والأحوال ليس لهم الحق في الوصاية عليهم حتى وأن كانوا صغاراً. هذا التمرکز المطلق حول العائلة الأبوية "Le famili-centrisme absolu" كما يدعوه كاميلوري إذا صحت الترجمة، والفخر أو المغالاة في التقييم الإيجابي للنسل وأصول العائلات في المغرب العربي، جعلهم يحبذون بل يوصون بنوع من الصرامة على الزواج الداخلي Le mariage endogame وهو الزواج من داخل عصابة العائلة، في أقرب أشكاله أي بين أولاد أخوين شقيقين (أبناء العم المتوازيين). هذا النوع من الاتحاد لا يتجاوزه سوى زنا المحارم (Zagal,1976) هذا النوع هو بعيد كل البعد عن التبادلات الاجتماعية بين القبائل الشعوب أي عكس الزواج الخارجي أو زواج الأبعد Le mariage exogame.

إن رفض الزواج مع من هم خارج الحيز العائلي ليس يسبب العامل الاقتصادي فقط (بقاء أموال العائلة في إطار أفرادها) بل وكما يري جاك بارك Jacques Berque "الزواج من بنت العم، هو إلى حد ما، توحد الفرد مع ذاته" (Berque,1962) وهذه في الحقيقة رمزية محتملة لهذا

السلوك الملفت للانتباه، إنه التمرکز حول الذات والتركيز على العائلة والذي تعيشه المجتمعات التقليدية كمصدر لكل فخر وتقييم إيجابي بنوع من المبالغة.

هذه المجهودات التي تبذلها العائلة في محاولة التنازل مع إلغاء كل عامل وفرد خارجي، الهدف منها طرح نفسها كأصل فريد من نوعه، وفي نفس السياق يري كاميلوري أن عند العرب البحث عن الهوية يتم بالطرد التام للاختلاف الاجتماعي، وأن كل شيء متعلق بالدم كرمز للهوية، فالهوية متعلقة إلى حد كبير بالهوية البيولوجية وأن هناك ميل لنموذج العائلة الأبوية العربية للتركيز على "الداخل" وتأكيد نفسها من هذا المنظور وليس من "الخارج" الاجتماعي (Camilleri, 1973, p.15).

إن الزواج الداخلي يمنع بطبيعة الحال التبادلات الاجتماعية والاقتصادية بين الجماعات الاجتماعية، ولذلك تطور هذا الزواج من أبناء العم المباشرين (من الإخوة الأشقاء) إلى أبناء العمومة ولكن من بعيد.

إن السرد النظري للنسق التقليدي للعائلة الجزائرية يجعلنا أمام طرح آخر، يتمثل في التعرف على المعاش لا سيما نوع العلاقات بين الأفراد وكيفية تقاسم الأدوار.

7.1.4- التركيبة العائلية في النسق التقليدي بين العلاقات وتقسيم الأدوار:

تحدثنا قبل الآن عن أهمية الأولاد بالنسبة للعائلة الأبوية، فهم دائما مرغوبون دون تحديد للعدد أو تخطيط للولادات، فهم يعطون مكانة للرجل في عيون العائلة الكبيرة وفي تصوره لنفسه، هذا التصور الذي يحمل معنى الرجولة والفحولة. كما أن هذه الفكرة يمكن ترجمتها في التصور الإسلامي أن الأولاد هم نعمة من الله ورمز للرزق وللبركة. وفي هذا الصدد يذكر كويزونى Cuisenier. J في كتابه حول "زواج الأقارب وزواج الأجنبي عند العرب" حالة رجل يعيش في بيت حوله خمسة وعشرين قبرا صغير والذي لم يتوقف عن محاولة الإنجاب طلبا للرزق لأن الصغار يجلبون الرزق معهم (Cuisenier, 1962, p.158).

في هذا النسق، تعتبر مرحلة الحمل فترة تعطي للمرأة أهمية بالغة فالحمل هو زمن التفاخر والتقييم الذاتي والاجتماعي الإيجابي للمرأة بكل معنى الكلمة. فتكون محاطة بالعائلة يدللونها ويحسون معاملتها، فالعرف يقضي بعدم مضايقتها وعاظمتها، كما يجب أن يقدم لها كل ما تشتهييه من مأكولات بنوع من الإسراع في تحقيق هذه الرغبات خوفا من أن تصيب إحباطاتها الجنين وتؤثر عليه. ولذلك تنصاع كل الجماعة لذلالها ورغباتها بما أنها حالة استثنائية وطبيعية تضمن مجيء المولود بصحة جيدة.

فالطفل إذا هو مرحب به متى ما حل، وهو في طفولته المبكرة تابع لأمه تعطيه الحنان وكل ما يحتاجه من غذاء وتحميه من الأمراض وتحميه كذلك من عيون الحاسدين "mauvais œil" والتأثيرات الخارجية كالأرواح الشريرة.

وبما أن الطفل الصغير يكون تابعا لأمه في البيت وقليل ما يلتقي جماعة الرجال، فليس ملزما بتعلم احترام التسلسل الهرمي للعائلة الأبوية إلا عندما يكبر، وعليه فإن تربية الطفل ضمن هذا النسق في الطفولة تكون مرنة فيدلل الطفل ومنتقلا من يد ليد فهو بهجة البيت ومصدر الرزق كما بينا سابقا، أما عملية فطامه فتكون متأخرة والتي لها أثر على شخصيته إذا ما اعتمدنا على دراسة مقارنة حول الرضاعة الطفل العربي والطفل الأوروبي قام بها كاميلوري سنة 1962 حيث توصل إلى نتيجة مفادها أن الرضاعة المطولة لها تأثير على شخصية الطفل وبشكل كبير هي أقل إحباطا مقارنة بالطفل الأوروبي أنذاك (Camilleri, 1964,p.17).

أما بيت العائلة الأبوية فيظل مكتظا بالناس الذين يعيشون فيه وبالزائرين الذين يقومون بزيارات غير منتظمة بل عفوية يدخلون ويخرجون دون مواعيد سابقة حتى أن الأبواب لا تغلق إلا في الليل وربما لا وإنما توضع ستائر بدل الأبواب فلا مجال للخصوصية، إنها خصوصية العائلة الكبيرة التي تختلف في مفهومها عما هي عليها اليوم.

بعد هذه الإشارات الأساسية التي حاولنا من خلالها خلق تصور عن العائلة في النسق التقليدي، نرى من المناسب التطرق أيضا إلى الفرق بين الجنسين في المكانات والأدوار.

8.1.4- مكانة الإناث في النسق العائلي القديم:

إذا ولدت الأنثى لعائلة ذات عدد كاف من الذكور لا تعتبر هذه الأخيرة مشؤومة، لكن الواقع أن تولد أنثى هو أمر غير مشجع. تقول لاكوست دوجاردان " ... بنت! إن عاشت فلا بأس، ربما تكون مفيدة، إن توفيت لا يهم، فهنالك أماكن شاغرة في المقبرة" (Camille Lacoste-) (Dujardin,1996,p.70)، عندما تكبر قليلا يتم حبسها في مجتمع النساء، وعندما تبلغ يتم تحجيبها وستر وجهها تنقلاتها المحدودة خارج البيت في خاصة عند العائلات المحافظة بشدة.

البيوت أو الحمامات المغاربية هي مكان التقاء المجتمع النسوي، العالم الخارجي أو الشارع لا يوجد إلا من خلال التنقلات المحدودة بين الحمام، المقبرة، والزيارات العائلية. وما يحدث فيه ينقل إلهن على لسان المجتمع الذكوري ويقتصر على ما يريدونهم أن يسمعوها فقط، فهن لسن معنيات بما يحدث خارجا.

إن النقاشات بينهن تتمحور حول مواضيع بيتية بسيطة، حمل، ولادة، زواج، فضائح عائلية، تعليقات ونقل أخبار حول العائلة والجيران (Heuven,1973,p.21) وعليه فالأنثى تنتمي للداخل وهي ملكية خاصة للرجل، وعلى العكس من وضعية المرأة فإن الرجل عالمه خارج البيت. يتم تعليم الأنثى منذ نعومة أظافرها كيف تكون زوجة وتقوم بدور ربة البيت والأم، فتستوعب الاستراتيجيات التي تسمح لها بفرض نفسها في عائلة الزوج وكسب ود حماها. عندما تتزوج المرأة تأخذ حياتها معنى اجتماعي، فالزواج يمنحها مكانة الزوجة ومكانة الأم فدون هذه الخطوة المهمة في حياة كل بنت فإنها تستصغر وتهتمش. لكن يبقى الزواج بالنسبة للفتاة في النسق التقليدي مجرد عبور من شكل من الخضوع لآخر من الأب إلى الزوج (Bouhdiba,2010).

9.1.4- تمجيد الأمهات وتأثيرهن:

"شعب تحت هيمنة الأمهات" هذا ما كتبه دومينيك فرنانداز Dominique Fernandez للتعبير عن الفكرة العامة لكتابتها "الأم المتوسطة" والتي تصف فيه سكان إيطاليا الجنوبية وأيضا وكذا سكان المغرب العربي.

فمن صلب المنطق الأبوي يخرج نوع من السلطة أو "ضد السلطة" وهو ما يمكن تسميته بنظام أمومي منزلي، أنهن أمهات الذكور أو منتجات الرجال.

لقد ذكرنا سابقا أن الهدف الحقيقي من وراء الزواج هو للحصول على الأولاد وعليه تفرض هذه الثقافة وتأطر دور المرأة في المهمة الأمومية التي تأسس في نفس الوقت مملكة حقيقية للأمهات (Fernandez, 2000).

إن تمجيد الأم يمثل إحدى المفاتيح الأساسية لفهم الشخصية العربية الإسلامية، حيث العلاقة أم طفل هي وحدة نفسية مطولة، لنقل إذا إستعرنا بعبارة Helena Dautsch "الحبل السري السيكولوجي"، إن العلاقة أم- طفل تعلق على كل من العلاقتين زوج - زوجة وطفل-أب وهي تعكس قوة الحبل السري الذي يربط الإنسان بأصوله الحقيقية.

حب الاطفال له معنى آخر بالنسبة للام العربية، فهم يمثلون بالنسبة لها حماية حقيقية بعد التقدم في السن، عندما تبدأ بالشعور بأمراض الشيخوخة، تأمين ضد القدر وسوء الحظ، فإن لم تحصل عليهم تضل المرأة حملا زائد على أبيها وإخوتها وخادمة لهم لنسائهم، وإن لم يطلقها زوجها فأن كانت متزوجة يتزوج عليها لتصبح خادمة للزوجات الولودات الأصغر منها. أما بالنسبة للإرث، ترث الأمهات في الإسلام "الثمن" أما أم الولد فتتمتع بثروت أكبر باعتبارها تحت مسؤولية هذا الأخير. فالأمومة إذن هي تأمين للأم وحماية لها.

حب الحصول على الأولاد الذكور يميز الأم العربية التقليدية، ذكر بوحديبة على سبيل المثال في كتابه الجنس في الإسلام قصة شهرزاد في ألف ليلة وليلة التي ولدت للملك في ظرف ثلاثة وثلاثين شهرا ثلاثة مواليد ذكور وعليه فالنجاح هو ألا تأتي للمرأة دورتها الشهرية أبدا بعد الزواج أو بين المولود والآخر، كما تخشى المرأة ثلاثة أمور: ألا تنجب، أن تفقد جنينها، وأن تنجب الإناث فقط.

أما بالنسبة للرجال فالمرأة الولود أهم من المرأة الجميلة والجمابة، فالجمال يزول أما الولد فهو باق. فالمستقبل هو للمرأة الولودة وهي من يعطيها المجتمع برستيحا ومكانة.

كما يذكر واقعا خاصا بالأم التقليدية التي كان مكانها البيت وهو أن الأولاد الذكور ينفعون الأم حتى وهم صغار في السن، فليس عليها أن تنتظر حتى يكبروا ليزودوها بالأخبار حول ما يحدث في الشارع والمقاهي وفي الأماكن والمجتمعات الذكورية كما يعملون على تسريب الأخبار والتجسس على الأب وعائلته (الجد والأعمام) ويعملون عمل الاتصالات بينها وبين جاراتها وصديقاتها، هم دائما في خدمتها، فهناك تواطؤ كبير في العلاقة بين الأم وأولادها على حساب العلاقة مع الأب.

هذا التواطؤ المطمئن للأم العربية والعلاقة الوطيدة بينها وأطفالها تمجد العلاقة الرحمية la relation utérine الملموسة والمطولة عند الطفل حتى وإن أصبح راشدا، بعكس العلاقة مع الأب الذي عليه أن يصنع لنفسه مكانا بينهم.

الأم في المجتمع العربي الإسلامي تبدو كبت من الحنان وواحة في صحراء المجتمع، أما العلاقة بينها وبين أبنائها تبقى علاقة رحمية إلى الأبد.

بالنسبة لليونغ "صورة الهوامية l'ímago للأم ويسقطها الرجل جملتنا على زوجته" (jung,1986,p.193). لكن بالنسبة للرجل العربي فالأم مقدسة لا تشبهها امرأة، فالزوجة يمكن استبدالها بأخرى أما الأم فلا. كما أنها خارج الجنس ويرفض فكرة أنها تمارسه la mère est hors sex وهذا ما تجسده أسطورة جودر في قصة ألف ليلة وليلة والتي تترجم العلاقة المميزة بين الابن وأمه، فالحياة هي كنز لا يمكن الحصول عليه إلا إذا قتل في داخل الإنسان الضلالات الغير حقيقية أي أم جودر Jawdar في القصة.

جودر هو بديل الأوديب في الثقافة العربية الاسلامية، مع الفرق أن جودر لم يتعرض إلا لخيال أمه، ذلك الخيال الذي جعله يفقد الكنز في المرة الأولى بعدما أقنعه الخيال بحق أمه عليه فكان يذكر في كل مرة أن لها عليه حق الرضاة والتربية وقد حملته تسعة أشهر. جودر يمثل الصورة النمطية للمراهق والرجل العربي (Bouhdiba, 2010) فكل شيء يبدأ وينتهي عند الأم بالنسبة له.

1.9.1.4- مكانة الحماية (أم الزوج):

في جزء كتاب "ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية" تحدثت فاطمة مرينسي مطولا حول علاقة الأمهات والأبناء في الثقافة العربية ودورها بعد زواج ابنها وترى أن الحماية تشكل أحد الحواجز المهمة التي تعترض الحميمة الزوجية في إطار الزواج التقليدي، "كما أن العلاقة المتينة التي تربط الأم بابنها تمثل غالبا العامل الرئيسي في ديناميكية الزواج الإسلامي، فالابن الذي يرتبط بأمه ارتباطا شديدا يعاني بصفة خاصة من القلق بخصوص رجولته ويتوجس خيفة من الأنوثة" (المرينسي، 2005، ص.129).

كما اشارت إلى أن النظرية النفسية التي اعتبرت العلاقة مع الأم العامل الحاسم في قدرة الفرد على إقامة علاقة بالجنس الآخر والتي هي من صميم المفهوم الفرويدي لعقدة أوديب. من جهة أخرى هناك دراسات مقارنة بين الثقافات كتلك التي قام بها فليب سلاتر Philippe Slater قد أبرزت أن المجتمعات البشرية قد استعملت ميك أنزيمات علاقة الابن بأمه بطريقة شديدة الفعالية، فصنف المجتمعات تبعا للأهمية التي توليها لعلاقة الأم بابنها "تتجه المجتمعات نحو قطبين، تبعا لكونها تركز على علاقة الأم بابنها أو تبعا لكونها تركز على الرباط الزوجي. وكل من هذه المجتمعات يسهر على نمطه الخاص في التحرك الذاتي" فوجد أن المجتمعات التي تقيم رباطا زواجيا واهيا تمنح أهمية خاصة لعلاقة الأم بابنها والعكس صحيح.

أما بالنسبة للمجتمعات الإسلامية فإن العلاقة ليست ضعيفة فحسب كما أن حب الزوجة لا يلقى تشجيعا ولكن الأدهى من ذلك هو أن المرأة الوحيدة التي يكون للرجل الحق في حبها دون أن يتعرض للسخرية هي أمه حسب المرينسي، بحيث يكتسي هذا الحب صفة العرفان بالجميل طيلة الحياة.

يشكل هذا الحب الممزوج بالعرفان الذي يكتنه الابن لأمه محور عدة آيات قرآنية تحث على رضا وبر الوالدين والعرفان بالجميل وذلك في قوله بعد: بسم الله الرحمن الرحيم "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا" (الإسراء: الآية 23: 24)، وأيضا في قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ" (لقمان: 14)، وفي قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَأَنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (العنكبوت: 8).

هذا العرفان بالجميل تجاه الوالدين وخاصة الأم، لا يعرف حدودا زمانية بل يجب أن يستمر مدى الحياة ويحافظ على القوة نفسها "ليس هناك فترة معينة بعد سن الرشد تنتهي فيها العلاقة بالأم أو على الأقل تتحول وتفترق قوتها، لكي تمكن الشاب من إقامة علاقة جنسية مع شريكته الجديدة أي زوجته" (المرنيسي، 2005، ص.131).

وعلى العكس من ذلك فإن الزواج الذي يتسم في أغلب المجتمعات بكونه يقلد الابن مهما أولية تمكنه من التحرر من أمه، يشكل في المجتمع الإسلامي المغربي تقليدا يدعم سيطرة الأم على الابن، وبذلك فهو يقيم الانفصال الأوديبي بين الحب والحياة الجنسية في حياة الرجل، بما أنه يشجعه على حب امرأة لا يمكن أن تكون له بها علاقة جنسية لأنها أمه، وبموازاة ذلك يتم تثبيط عزيمة الرجل والاستهزاء من محاولاته الهادفة إلى تحويل طاقاته العاطفية نحو المرأة التي يتصل بها جنسيا أي زوجته.

2.9.1.4- دور الأم في اختيار عروس لابنها:

يرى العديد من الأنثروبولوجيون والنفسانيون المغربية، على غرار لهواري عدي Lahouari Addi وفاطمة مرنيسي أن الأم المغربية هي صاحبة المبادرة الحاسمة لإتمام زواج ابنها، على الرغم من ظهور الأب على الواجهة مراعاتنا للمظاهر الاجتماعية، فنجدته يبدي مسؤولياته على المفاوضات المتعلقة بالصداق وتطبيق القرارات المالية التي تصاحب عقد الزواج. لكن دور الأم هو الحاتم في تقرير الزواج بما أنها قادرة على الحصول على بعض المعلومات التي لا يصل إليها إلا النساء في مجتمع كان قائما على التفرقة بين الجنسين. "بإمكان الأم أن ترى خطيبة ابنها وتتحدث إليها، كما أن بإمكانها التعرف عليها حميميا في الحمام، لأن المرأة في المجتمع المغربي التقليدي لا ترى امرأة عارية ولا تتعرف على حالتها الصحية إلا في هذا المكان" (المرنيسي، 2005، ص.132).

تحدث بوحديبة في كتابه "الجنس في الإسلام" مطولا عن هذا المكان (الحمام) على كونه مكانا للاغتسال من الجنابة وافتتاح الصلاة كما وضع أنه لا يوفر للإنسان فرصة القيام بطقوس التطهير والاعتسال فحسب، ولكنه يلعب أدوارا أخرى متنوعة بما أنه مركز اتصال نشط (Bouhdiba, 2010).

فالحمام أنذاك كان الوكالة الاخبارية الأقوى حيث يتم الاستفسار عن أسرار العائلات التي ترتاده والتعرف عليها.

فالمرأة العاملة بالحمام سواء في الصندوق أو العاملة كما تسمى "الكياسة أو الطيابة" تشغلان وضعا استراتيجيا، أنهما على دراية كاملة بسيرته الذاتية لكل أفراد العائلات التي تسكن الحي وترتاد الحمام، وتشكل الفتيات الموضوع المفضل للأحاديث حول جمالهن وسلوكياتهن خاصة

أن سمعة الفتاة ذات تأثير مباشر على شرفها ومكانة عائلتها. إن النساء المكلفات بنشر فضائل البنات أو "الخطابات" كما يسمين جلهن تقدم بهن السن بحيث لا يعيشن حياة جنسية بفعل كونهن إما أرامل أو مطلقات أو لأن أزواجهن قد هجروهن من أجل زوجات أصغر منهن. إن السلطة التي تملكها المرأة المسنة في الحصول على الأخبار المتعلقة بالنساء الشابات وإذاعتها تخول لهن تأثير كبير في اختيار الزوجين، وبالتالي تضعف بشكل ملحوظ من شأن الرجل في هذه العملية (المرنيسي، 2005).

ورجوعا إلى المقارنة التي قام بها سلاتر Slater التي أشرنا إليها سابقا، نجد أن المرأة في المجتمعات التي تعرف تنافرا شديدا بين الجنسين، تبحث عن إرضاء حاجاتها العاطفية أساسا في علاقتها بأبنائها، في حين أن المجتمعات التي لا تبرز فيها هذه الخصائص بالحدة نفسها، تجعل المرأة تتجه أساسا إلى العلاقة الزوجية كمنبع رئيسي لإرضاء رغباتها العاطفية. طبعاً من غير المعقول اعتبار الكنة والحماة مجرد غريمتين دائماً، لأن بإمكانهما أن يكونا حليفين أيضاً في بعض الأحيان. فالمرأة المسنة قد تفيد كثيرا المرأة الشابة والعديمة التجربة، في أمور الحمل وتربية الأطفال وكسب رضى الزوج.

10.1.4- مكانة الذكور في النسق العائلي القديم:

يحافظ الذكر بعد بلوغه سن الرشد على علاقة مميزة مع الأم بالمقارنة مع الأب، فالقيم الدينية تحثه على يقدم لها احتراماً كبيراً، وبالمقابل تكون الأم المغربية والعربية عامة قريبة جداً من ابنها الذكر، فهي كاتمة أسرارها، وتساعد على تحقيق رغباته بإخفاء ما تستطيع إخفائه عن الأب. كما تلعب دور محامي دفاع عن أولادها خاصة الذكور كلما سمحت الفرصة، عادة ما تؤثر هذه العلاقة المميزة على حياة الابن الذكر حتى إلى عمر متقدم.

ولكن هذه العلاقة المميزة بين الذكر وأمه لا تمنعه من الانتماء إلى مجتمع الرجال، وهذا الانتماء هو من مخلفات طقس الختان الذي يصنع له مكانة بين الرجال ومودعا عالم النساء كعدم البقاء في البيت معهن وعدم ذهابه معهن إلى الحمام وقد ذكر العديد من الأنثروبولوجيين والنفسانيين الجزائريين كنور الدين طولبي Toualbi وكحلولة مراد Kahloula هذه النقطة بوضوح، فالختان هو بداية للانتماءات عديدة منها الانتماء للمجتمع الذكوري (Kelfah, 2010).

نشأة الذكر وتربيته في المجتمع المغربي وخبرته تقسمه بين موقفين متناقضين، فمن جهة سوف تجعله هذه الخبرة يعي باستمرار مكانته كذكر فتقوي من تقيمه لنفسه ومن انتماءه للطرف المسيطر والقوي من المعادلة ومن خلال الاختلاف بين حقوقه وحقوق الإناث يبني شخصية نمطية مهيمنة، بحيث يتعلم أن حقه في الميراث يفوق حق أخته بمرتين، وأن لديه حرية

لا تمتلكها هي وأن لديه سلطة عليها، أنها مجبرة ألا تعارضه وأن من واجباته مراقبة تصرفاتها ومحاسبتها إن اعتبر أنها أخطأت.

ومن جهة أخرى عليه كرجل أن يتعلم أن هناك سلم هرمي تحكمه درجة القرابة والسن يجعله يكون مرؤوسا ومطيعا للبعض ورئيسا مهيمنًا على البعض (Camilleri, 1973, p.24).

أما بالنسبة لقمة الهرم (الأب) فهناك مسافة نفسية معتبرة بينه وبين ابنائه: وتعتبر هذه المسافة ضرورية للحفاظ على الاحترام وهي ترمز للعلاقة من جانب وحد والتي تأتي من فوق نزولا إلى الأسفل في هذا السلم الهرمي.

تصف كامي لاجوست دوجاردان مكانة الأب و"السلطة الأبوية بأنها هي التي تحكم البيت من خلال العالم الذكوري الخارجي، فهي تعبر عن القانون الاجتماعي الذي تتماشى مع القانون الديني والمقدس، صورة الأب قريبة من صورة الرب" (Dujardin, 1996).

إن الأب هو الممثل للجماعة، فهو من يتكفل بالصعوبات التي تواجه العائلة، وهو همزة الوصل بين العائلة والمجتمع المدني، توكل اليه مهمة الحرص على الإبقاء على خصوصية المنزل. كما أن سمعة وبريستيج العائلة يرتبط بشكل مباشر بشرفه.

مكانة الأب يجب أن تكون لها صورة ايجابية إذا ما نظر إليها من الخارج، كما أن الابن البكر أو الأعمام لديهم سلطات وإمكانات قريبة من سلطة الأب وفي غيابه يعوضونه. وهم المسؤولون عن النسل الأبوي وعن شرفه، أما الأخوال فهم يقدمون ما تقدمه اختهم لأبنائهم من الحنان والطيبة والحب المعبر عنه بحرية.

وعليه فالنسق العائلي التقليدي يضع الابن في جماعتين؛ الأولى (الأعمام) فيها القيم تحدها الثقافة بدقة. والثانية (الأخوال).

2.4- النسق الحديث:

1.2.4- العلاقة بين الجنسين والزواج في النسق الحديث:

انفتح الزواج والعلاقات بين الجنسين في هذا النسق على آفاق عديدة وتغير كثيرا عما كان عليه سابقا، فالاختلاط بين الذكور والإناث في أماكن العمل والدراسة وفي كل مكان. كما أن الأحكام السلبية المسبقة التي كانت ترافق الفتاة التي تتراد على أماكن الدراسة والعمل تلاشت مع التطور أما الفتى الذي في سن الزواج أصبح يفضل الارتباط بفتاة من خارج معارف الوالدين واقناعهما بمساعدته على الارتباط بمن يرافقها ويعرفها.

أما الأمهات فصرن يقبلن الدخول في هذه المغامرة مع خطورتها، بالرغم من مخاوفها مضاعفة صلواتها ودعواتها أن تكون البنت مناسبة و"بنت حلال" معبرتا عن تحفظاتها وعدم

ارتياحها للمحيطين المقربين منها. وبعدها يزودها ابنها المقبل على الزواج عنوان عروسه المختارة، وقبل أن تقوم الأم بأية خطوة رسمية، تقوم الأم بالتحقيق حول أخلاق البنت مع الجيران ومن يعرفونها وعاداتها وتمحور الأسئلة حول سلوك أخواتها المتزوجات قبلها هل هن متعلقات بأزواجهن وهل يحترمن أهل الزوج، هل يستقبلن أمهن وأهلهن بكثرة في بيوتهن الزوجية؟ ثم تستفسر أيضا عن أمها وشدة رصانتها واتزانها، تلك الأسئلة هي بمثابة الحد الأدنى للضمان واطمئنان أم العريس. إن مرت هذه الخطوة بدون مشاكل واطمأنت الأم تذهب للمرحلة التالية وهي الخطوة الرسمية وفي هذه المرحلة تذهب العائلة للخطبة ويتصرف الطرفان كما لو أن القرار لم يكن قرار الشابين وإنما قرار الكبار. وطلب اليد يعتبره لهواي عدي لعبة أدوار حقيقية "un véritable jeu de rôles" أين المظاهر أهم من الكائن أو الواقع le paraître a plus d'importance que l'être فطلب اليد يحتاج إلى نوع من المسرحة لإعطائها شكلا رسميا ومهيبا، وهي فرصة للفتاة بالتعرف على أهل زوجها، وفرصة للأم ملاحظة بعض الأمور كجمال وقوام البنت نظافة البيت فخامة الأثاث، أما والدي الفتاة فيطلبان الرجوع إلى البنت لطلب رأيها في الزواج بعد الترحيب والضيافة. وفي هذه الحالة هناك مؤشر على تغير مكانة المرأة وتغير نسق الزواج واختيار الشريك (Addi,1999, p.86).

أما الزواج الديني وهي الحفلة الرسمية حفلة الحناء صارت تؤجل إلى ليلة الزفاف تفاديا للمصاريف الباهظة التي تكون على كاهل الأهل خاصة أهل الزوج أو الزوج نفسه إذا كان ميسورا خاصة أن جل الأعراس صارت تقام بصالات خاصة للأفراح. ويتصرف الأهل العروسين كما لو أنهم هم من قرروا ربط مصير الولدين المهم الحفاظ على الشكليات وإظهار أن القيم الاجتماعية والعادات ما زالت محترمة في المجتمع حتى وأن شاهد الجيران العروسين معا في الشارع قبل الخطبة والزواج، وأن لم يسلموا من ألسنة الناس يقال إنه مجرد كلام حاسدين.

الأم في النسق الحديث غالبا ما تكون حليفة لابنتها وتقنع الأب أن الزمن تغير فتدافع عن حق ابنتها في الاختيار بحكم التقدم لكن هذا الموقف يتغير إن كان الابن هو الذي سوف يتزوج تنبى الأم العقلية الأبوية. فإذا ما تعلق الأمر بزواج الابن تظهر الأم رغبة في أن تختار بنفسها العروس فبقدر ما تتمنى أن تختار ابنتها زوجها بنفسها تتمنى إلا يختار ابنها زوجته بنفسه، فعندما تختار البنت بنفسها هناك احتمال كبير ألا تكون تعيسة في حياتها، لكنها تحب أن تحكم السيطرة على القرار فيما يخص اختيار عروس لابنها.

أما فيما يخص دراسة طلب الزواج من طرف عائلة الفتاة المطلوبة فتقوم على تتوفر بعض الشروط المبدئية كالوظيفة والسكن الخاص خاصة إذا كانت ابنتهم صغيرة السن ولم تصل بعد

إلى مرحلة الخطر (العنوسة)، بحيث ترفض عائلتها تزويجها من شخص يعيش مع والديه وسط عائلة مركبة. وهذه الفكرة أي استقلال الزوجين في بيت منفصل عن عائلة الزوج يعني تغير في العقلية وتحول في نسق الزواج (Addi,1999,p.89). تحدث لهواري عدي عن تغير في العقلية وفي نسق الزواج في مؤلف نشر في أواخر التسعينات لكن التطور آل إلى وتيرة سريعة بعد ذلك فلم يعد الشاب يبحث عن الفتاة الصغيرة والجميلة الماكثة بالبيت دائما وإنما تداخلت بعض العوامل خاصة الاقتصادية والاجتماعية منها في ظهور شروط أخرى للزواج وتحولات جديدة منها بحث الفتى وأهله عن المرأة الموظفة قصد الزواج قصد التشارك في مصروف البيت خاصة أن سوق العمل قد اكتظ بالنساء الحاملات للشهادات العليا، وهذا ما أدى إلى تغير سريع في المكانات والأدوار وفي موقع المرأة كفاعل اجتماعي قوي.

2.2.4- من زواج الأقارب إلى زواج الأبعاد:

التمدن فرض على الجماعات الأولية التلاحم -في مسألة الزواج- بجماعات أخرى من خارج إطار الدم، فزواج الأقارب endogamie الذي أشرنا عليه من خلال سردنا لاستراتيجيات الزواج في النسق القديم لم يعد عمليا في الحياة العصرية والمدنية، أين تأكلت قيم المجتمع التقليدي وأصبحت أقل تأثير على سلوكيات الأفراد ، فمثلا الزواج من خارج إطار العائلة أو زواج الأبعاد بالرغم من المخاوف التي تنجر عنه حول أصل وأخلاق الزوجين إلا أنه أصبح مفروضا، في المجتمع التقليدي كان تزويج البنت هو إعطاء الجماعة المستقبلة عروسا من نفس العائلة تعرفهم ويعرفونها جيدا مع تشابه في القيم أما زواج الأبعاد exogamie - يعبر عنه في اللغة الدارجة الجزائرية بالزواج "البراني أو البراويا"- الذي فرضته التغيرات الاجتماعية السريعة يجر معه الريبة القلق والحيرة تخففها عاداتنا التحقيقات التي تسبق الخطبة الرسمية من الطرفين والتي أشرنا إليها في العنصر السابق.

إن زواج الأقارب وخاصة الزواج ببنت العم الذي اعتبر في النسق التقليدي زواجا مثاليا، تغير حاله وأصبح مكروها ويحمل تصورات سلبية ولعل "مقولة دمك هو همك" الشائعة في الوسط الجزائري هي الأكثر تعبيرا عن هذه التصورات، إذ أصبح الشباب يرفضون بنات العمومة لاجتناب الوقوع تحت وصاية العم والتبعية له، ولاجتناب المشاكل في حال وقوعها بين أفراد العائلة بسبب خلافات الزوجين.

إلى جانب تفضيل الشباب في النسق الحديث لزواج الأبعاد l'exogamie أصبح رأي الوالدين في مسألة اختيار الشريك غير أساسي، حتى أنهما صارا يفضلان عدم التدخل وترك هذا الموضوع للمعنيين به لاجتناب الشعور بالذنب في حالة الطلاق وعدم الانسجام بين الزوجين. هذه

الحرية هي نتيجة تفاعل مع أنواع أخرى من الحريات والتغيرات في المكانات والأدوار منها مكانة ودور المرأة كفاعل اجتماعي قوي في المجتمع.

3.2.4- وضعية المرأة كفاعل اجتماعي مؤثر على التحول مقابل صراع الأدوار:

انحصار دور المرأة في النسق التقليدي والنظام الأبوي على الإنجاب وتربية الأولاد وإرضاء العائلة الكبيرة شهدا تغيرا شبه جذري، جراء أدوارها التي تعددت حاليا، اختلفت وتعددت أدوار المرأة بحيث ظهرت ديناميكية الصراع بين الأدوار في إطار الأسرة.

4.2.4- صراع الأدوار والمكانات في الأسرة (سُلطة الأم ميراث السُلطة الأبوية):

بعدما أصبحت المرأة فاعلة في الفضاء المجتمعي صار من الطبيعي أن تشارك إعادة إنتاج الميكانيزيمات السيسولوجية، لكن هذه النتيجة مرت بسيرورة تطور عاشتها المرأة بين المسيطر عليه تارة والمسيطر تارة أخرى، صحيح أن الحالات هي فردية واختلفت من امرأة لأخرى حسب الوضعيات وحسب الشخصيات لكن حسب لهواري عدي هناك نموذج نمطي غالب من سنوات السبعينات إلى الآن في الجزائر، نموذج الأم التي عملت على تحسين مكانة بناتها من خلال تدريسهن ورفع جرعة الحرية ولو نسبيا بالمقارنة مع المكانة السابقة التي كانت لهن في إطار العائلة الأبوية.

إن التغيرات التي حدثت داخل الأسرة هي نتاج الصراع على السلطة. فالأولاد الذكور ترفعوا في المجتمعات الحديثة إلى مكانة الأب (استخلاف مكانة الأب) وتموين العائلة. الأم التي كانت تمتلك الاحترام من الأبناء في الأسرة الأبوية حولت هذا الاحترام إلى سلطة والقدرة على اتخاذ القرار. كل فرد من الأسرة يستخدم استراتيجية للحصول على السلطة من جهة والاستقلالية من جهة أخرى لا للانفصال وإنما لإثبات ذواتهم كأشخاص مهمين، ولكل منهم استراتيجيته، أما الأب فمكانته هي الأكثر تضررا في هذا الصراع خاصة إن كان لا يعمل أو كانت مداخيله هي الأقل، وعليه لم يتبقى له إلا السلطة الرمزية أمام الجيران وربما لا. أما المرأة المتزوجة تعمل على الاستقلالية والتهرب من أعباء العائلة الموسعة.

مهما كانت مكانتها وظروفها تسعى المرأة إلى تحسين وضعيتها، تحركها طموحاتها التي تدعّمها وتعطيها الأمل، من خلال الطموح ترتسم ملامح المرأة كفاعل اجتماعي مستعملتا هوامش أو حدود الحرية المتاحة لها. وحتى أن لم تتوصل إلى تغيير وضعيتها تسعى لتحصل بناتها على ما لم تحصل عليه من خلال تدريسهن ومساعدتهن على العمل بتحمل أعباء أسرهن وأولادهن باعتبارها الجدة. الأم تبحث لابنها عن امرأة عاملة ومطبعة لزوجها، الكنة تبحث عن زوج ميسور لتسكن ببيت مستقل مع زوجها وأولادها، الفتاة العزباء تتمنى الحصول على زوج يمتلك بيت خاص ويسمح لها بالعمل هكذا كانت معظم استجابات النساء في بحث عدي Addi عن إجابة لسؤال:

ماهي امنياتك للمستقبل" والتي اعتبرها بالرغم من أنها إجابات بسيطة إلا أنها مؤشرات التغيير في العائلة الجزائرية وإبعاد الصراع (Addi, 1999, p.122).

فالأمر توضع في المكانة الأولى الإمكانيات المادية لابنها وتتمنى له زوجة عاملة بالرغم من ضياع فرصتها في الحصول على ربة بيت تساعد في الأعمال المنزلية وتشرف عليها باعتبارها الحماة، فهي تتمنى الزيادة في مدخول ابنها وتحسين مستواه المعيشي فهي تلغي نفسها وتهتم لمصالح ابنها وأولاده المادية والرمزية وهذا وجه من أوجه التغيير لكنها تعتب على زوجته عدم القيام بكل واجبتها تجاه زوجها من تحضير للواجبات في أوقاتها والمحافظة على أناقته وراحته. الزوجة بالمقابل تبحث على الاستقلالية وترغب في أن يقوم زوجها بالبحث عن مسكن مستقل عن العائلة الكبيرة للاستقلال عن سلطة أم الزوج والحصول على زوجها لها وحدها وإبعاد أمه عن طريقها، أما إجابة البنات العزباء فهي تؤكد الرفض للتبعية للأمر الزوج قبل التعرف عليها فهي تتمنى زوجا أمه متوفية أو على الأقل لديه بيت خاص تجنباً لسيطرة الحماة المستقبلية وكونها شريكا لها ومنافسا على اهتمام وعاطفة زوجها عليها، حاول عدي Addi من خلال سرد هذه التصورات أن يظهر أهم الصراعات والمنافسة على السلطة بين النساء في الإطار العائلي والتي أدت إلى تحولات مهمة في الجماعات الأولية والتي تنعكس بطبيعة الحال ثقافة المجتمع لأن الأسرة هي نموذج مصغر عن المجتمع وأي تغيير فيها ينعكس على المجتمع.

وعليه تنشط المرأة كفاعل اجتماعي حسب السن مع مراعات الفروق الفردية والفرق في الشخصيات والطموحات كالتالي:

- المرأة- الأم: أو الجدة تعمل على الإبقاء على الممارسات الأبوية لصالح الأبناء وليس الأب الذي جرد من كل سلطاته، فهي تمارس السيطرة عليه وعلى زوجات أبنائها باستخدام هيمنة أبنائها وتمجيد قيم جيلها أو على الأقل أمام الناس والمحيط.

- المرأة- الزوجة الماكثة بالبيت: هي الأخرى تستثمر في أولادها الذين عندما يكبرون يظهرون لها الولاء والتعلق وعليه فهي تعمل ما بوسعها لمضاعفة عدد الأبناء، لاجتناب الطلاق والهدف الأهم من ذلك هو أن تحصل على مكانة الحماة قمة الهرم العائلي الذي يحوي عدد كبيرا من الكنات أو زوجات الأبناء والتي تلعب دور الموجه لهن في كيفية التعامل مع ابنائها، وفي انتظار تحقق هذا الهدف تتحمل كل ثقل الأعباء المنزلية لتربية أبنائها، عاملة تحت إشراف حماها لاجتناب الصراعات

معها لأنه في الأخير هي تعلم أن زوجها في أغلب الحالات سوف يصف مع أمه، حليفها الوحيد هو الزمن الذي هو كفيل بتهيئ أم الزوج وأخواته وتجريدهن من سلطتهن.

- المرأة المتزوجة العاملة: تنتظر من الدولة سن فوانين تشريعية لإلغاء الممارسات الأبوية وتطالب بالمساواة في المكانة مع الرجل. وعملها خارج البيت يجعلها تنصل من الأعمال المنزلية وتتعدد أمورها إذا كانت مأكثة مع عائلة الزوج وهذه الفئة من النساء هن الأكثر عرضة للطلاق وللتخيير بين عائلتها وعملها.

- الفتاة العزباء: سواء كانت تلميذة أو طالبة لا تربط بين الإسلام والثقافة الأبوية تعمل على مقابلة هذا بذاك والخروج بحلول عملية من مختلف الوضعيات على سبيل المثال قد ترتدي الحجاب حتى لا تحبس في الفضاء المنزلي.

هذا التصنيف لا يُنمط الاستراتيجيات بقدر ما هدفه الإشارة إلى أن نفس المرأة يمكنها اتخاذ استراتيجيات متناقضة فمثلا الأم-المرأة يمكن أن تتخذ موقفين مختلفين عندما يتعلق الأمر بالبنات وزوجة الابن. فالسلطة التي اكتسبتها مؤخرا بعد انهيار العائلة الأبوية، المرأة الأم تلعب دورا متناقضا في تحرير المرأة وتحقيقها لذاتها، فمن جهة تقف في وجه زوجة ابنها فتفرض سيطرتها على زوجها أي ابنها هي وتحب إحكام سيطرتها عليها، ومن جهة أخرى تدعم ابنتها وتعتبرها دوما مضطهدة من حماتها. عدم الانسجام في مواقف المرأة تجاه المرأة تسمح بتغيرات ملحوظة في وضعية المرأة.

عندما تتحكم المرأة-الأم في الثقافة الأبوية لإحكام السيطرة على زوجة ابنها، وفي نفس الوقت تعارض سلطة حماة ابنتها على هذه الأخيرة التي تمتلك نفس صلاحياتها ومكانتها وعندما تعارض عمل زوجة ابنها وتشجع ابنتها على العمل والتنعم بالحرية والاستقلالية هذه التناقضات تجابهها طموحات أخرى لنساء يشغلن وضعيات ومكانات مختلفة في الحقل العائلي وكل هذا الصراع يؤدي إلى تغيرات في الأدوار والمكانات وبالتالي في الثقافة.

5- الخاتمة ونتائج الدراسة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة على مجموعة من التساؤلات التي تهدف إلى رصد التغيرات التي دخلت على العلاقات الاجتماعية لا سيما تلك التي تحكم العلاقات بين رجال المجتمع

ونسائه وعلى الزواج؛ الإطار الأبرز الذي ينظم هذه العلاقات وكذا توازنات الأسرة بين الماضي والحاضر الذي نعيشه والخاضع هو الآخر لتغيرات قد نشهدها في المستقبل.

استعملنا لتحقيق هذه الأهداف المنهج التاريخي الذي يعتبر الأنسب لدراسة التغير الذي يطرأ على شبكة وتطور النظم الاجتماعية والمفاهيم والقيم الاجتماعية وكذلك في دراسة أصول الثقافات وتطورها وانتشارها والمقارنات المختلفة بين النظم والثقافات ومعرفة تاريخ الطواهر، بحث ساعدنا في هذا البحث على وصف بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية والأسرية التي تعتبر مؤشرات على مسار وتغيرات الثقافة الجزائرية. ومنه توصلنا إلى النتائج التالية:

أن التحولات الثقافية، والتغيرات القيمية التي تطرأ على المجتمعات حتمية طبيعية. لذلك فالجزائر أيضا على غرار هذه المجتمعات، خضعت لتغيرات كثيرة على مر الزمن، أثرت على عدة جوانب ومستويات، بداية من النسق القيمي إلى العلاقات الإنسانية والاجتماعية، لا سيما تلك التي تحكم طبيعة العلاقة بين الذكور والإناث التي لا يزيحها غير النكاح أو الزواج، ثم انفتحت هذه العلاقات على آفاق جديدة، حيث الاختلاط بين الجنسين صار متاحا في أماكن الدراسة والعمل وفي كل مكان تقريبا.

أما الزواج والبحث عن شريك الحياة، أصبح من مهمات الشخصين نفسهما، بعدما كان يقوم على قرارات العائلة ووجهائها بعد القيام بمجموعة من التحريات عن نسب الفتاه وأخلاقها وعذريتها. تغيرت أيضا طقوس الزواج التي امتزجت تقاليدها بالحدثة، وكذا طبيعتها وتصورات الاجتماعية المتعلقة بها كالانتقال من تفضيل زواج الأقارب إلى زواج الأبعد ومن الزواج المتعدد إلى الاكتفاء بالزوجة الواحدة لأسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية.

التحولات مست أيضا البنية الأسرية، التي حاولنا التركيز عليها لقناعتنا أن هذه الجماعة الابتدائية هي مرآة المجتمع ووعاءه الثقافي، فستعرضنا أهم التغيرات التي طرأت على البنية الأسرية من حيث التراكيب والوظائف، التي تمثلت في تغيرات على مستوى المكنات والأدوار، وكيف حدث التحول في قلب هذه العلاقة حيث أدى تغير دور المرأة ومكانتها بين ماض كانت فيه تابعة لكيان آخر (بنت فلان أو زوجة فلان) إلى حاضر أصبحت فيه فردا مستقلا ذو فعالية حتى في سوق العمل، وتغير دور المرأة ومكانتها يؤثر بشكل مباشر على توازنات الأسرة والعلاقات بين أفرادها.

- قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.

- الحديري إبراهيم. (2003). النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب، بيروت: دار الساقى.
- المرنيسي فاطمة. (2005). ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة: أوزيل فاطمة الزهراء، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. نشر الفنك.
- بن نعمان أحمد. (د-ت). هذه هي الثقافة. الطبعة 1. الجزائر: شركة دار الأمة.
- Addi Lahouari.(1999). Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte.
- Berque. J(1967) , pourquoi chez la femme la crise a éclaté maintenant et pas avant ? Faiza, Tunis, n56, mars-avril.
- Bouhdiba Abdelwahab.(2010) . La Sexualité en Islam, Paris, PUF.
- Camille Lacoste-Dujardin. (1996). Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, Essai.
- Camilleri Carmel. (1973). Jeunesse, famille et développement: essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde (Tunisie), Paris, éd CNRS.
- Chebel Malek. (2003). Encyclopédie de l'amour en Islam, Paris, Payot.
- Cuisenier J .(1962). Endogamie et exogamie dans le mariage arabe, l'homme, paris, mai –aout.
- Dominique Fernandez. (2000). Mère Méditerranée, Paris, Grasset.
- Jung Carl Gustav.(1986). Dialectique du moi et de l'inconscient, traduction de Roland Cahen, éd Gallimard.
- Kelfah Amel.(2009-2010) . La symbolique de sang dans la culture algérienne à travers les rites initiatique : mariage et circoncision, thèse de magister, université d'Oran, Algérie.
- Mernissi F. (1983). sexe, idéologie, islam, Tierce, Paris.
- Toualbi. N. (2006). L'ordre et le désordre, éd Casbah, Alger.
- Toualbi. N. (1984). Religion, rites et mutations : psychosociologie du sacré en Algérie, ENAL, Alger.

- Toualbi. N. (2001). l'identité au Maghreb, Ed Casbah, Alger.
- Zghal. A. (1967). système de parenté et système coopératif, revue tunisienne des sciences sociales, Tunis, N 11, octobre .